

التنوع اللّهيقي في فضاءات الأطفال الجزائرية The ethical dialectal diversity in the Algerian children's spaces

أ. خلوط مولود*

الرقم التعريفي للمقال: DOI: 10.33705/1111-015-002-010

تاريخ القبول: 2021.08.28

تاريخ الاستلام: 2021.04.09

ملخص: تحمل الدراسة الراهنة أنواع الأبعاد والدلالات التي يحملها واقع المنظومة القيمية للأطفال في فضاء المخيمات الصيفية، والتي تطرقنا من خلالها إلى تحليل المحتويات التي تضمنها نشاط المقطوعات الصوتية ذات الطابعين اللغويين الفصح والعامي، وبخاصة الرسالة القيمية المعبرة عن قيم التنوع الثقافي المحلي والإنساني الداعية للتسامح والتقارب والتعايش ونبذ وإقصاء الآخر. وقد عمدنا في دراستنا هذه تقنية تحليل المحتوى كأداة فارقة في وصف القيم السامية المرغوب فيها من خلال المدونة الإنشادية لفضاءات الأطفال. كلمات مفتاحية: الأطفال؛ القيم؛ أناشيد الأطفال؛ المخيمات الصيفية؛ الرسالة الإرشادية.

Abstract: This study reveals the types of dimensions and contents that the reality of the value system carries for children in the space of the Algerian summer camps, through which we dealt with the analysis of the contents that were included from the activity of phoneme and hymns of an eloquent linguistic character and of a colloquial linguistic character and devising the most prominent messages of human value through the values of tolerance And the rapprochement and coexistence with the other, and we have used in our study the technique of content analysis as a distinctive tool in describing the desired values in the fields of education and entertainment for children..

keywords: children ; Values ; children's songs ; summer camps ; The value message

1. مقدّمة: يعتبر الأطفال في المجتمعات الإنسانية القاعدة الرئيسة لأي مشروع تنمويّ مستقبلي، فأطفال اليوم كما يذكرون "هم شباب الغد" ورجاء الأمم وعضدها، وهم القوّة الفاعلة في الخطط المستقبلية المختلفة وعدم حمايتهم لن يُنجح أيّ مجتمع من مجتمعات المعمورة في بعث مشاريعه ومبادراته وبرامجه التنموية، والتي ترجع بالأثر الإيجابي على أفراد وجماعات البلدان المتحضرة. كما وتعدّ حمايتهم اجتماعيا من مهام مؤسسات التنشئة الأولى انطلاقا من "الأسرة" و"دور العبادة" و"المدرسة" و"الجمعيات" و"النوادي الرياضية والثقافية والإعلامية"، وإنّ جلّ هذه المؤسسات في تعاملاتها المباشرة مع الأطفال تركز على أنواع وأساليب تنمية القيم بداية بأنماط المشافهة، التحاور، الحكمة، الموعظة الثواب والنصح وترشيد الأخطاء من السلوكيات غير المرغوب فيها شرعا، عرفا، قانونا وإنسانية.

ومن المتعارف عليه عبر العالم، نجد أنّ مهام الرسائل القيمية في المجتمعات قاطبة يؤسّس لها "الوازع القيمي" القائم على شخوص الرجالات الإرشادية والنماذج والقداوات في مهامهم التربوية والسوسيوقافية التي لا تخرج عن نطاق دور الإرشاد والأماكن التعليمية المتعارف عليها في البيئات الإنسانية عموما.

وعلى إثر التدفّقات الإعلامية المتعولمة؛ أضحت الرسالة القيمية جدّ مرنة ومتسارعة عبر كلّ الوسائط الإعلامية الكلاسيكية والبديلة على السواء، وما يقابل ذلك أيضا من تعدّد وتغوّل للفنون الهابطة بين أوساط الشرائح المنحرفة والشاذّة في المجتمع وتفشّي مضامين الرسائل الساقطة من مفاصد الخلق وثقافة العهر صوتا وصورة حيث بات حال بعض أطفالنا اليوم تحت رحمة الفضاء الأزرق والبديل في شقّه السلبي واندثار أبجديات ثقافة الضبط والتأطير وتضارب القيم وبروز صراع الأجيال.

وفي إطار دراستنا يسعنا المقام أن ننوّه بمدى أهميّة الرسائل الإعلامية الموجهة لشريحة الأطفال في المجتمع الجزائري خصوصا، والتي تندسّامى درجات قيمها النبيلة وسموّ تيجانها وتشاكلها مع القيم العالمية الداعية لمبادئ السلام، الأمن، التعايش الإنساني، حوار الثقافات، نبذ سموم الحروب، ثقافات التهميش وإلغاء الآخر.

ومنه تجدر الإشارة أنّ المقام الإرشادي القيمي يتعلّق بالتشريعات والنصوص والأحكام، بل ويزيد ذلك إلى شمل الجانب التثقيفي التوعوي الذي يركز على تعزيز مبادئ القيم الروحية والخلقية المرغوب فيها في المجتمعات الإنسانية قاطبة والمتجلية في أساليب الحكيم والقصص والتمثيل والمسرح والشعر والأناشيد الإرشادية والتربوية الهادفة.

ومن خلال موضوعنا، يستفيد الأطفال في الفضاءات الترفيهية والتثقيفية من الأنشطة والبرامج المقدّمة لهم لما تحتويه من مضامين متنوّعة يراد غرسها في ذهنية المتلقين.

ومن الأنشطة التي تحمل في طياتها أبعادا قيمية في بيئات الأطفال نجد الأناشيد، إذ تعتبر فناً مرغوباً فيه ومحبباً لدى الأطفال، بما تحمله من أشعار جميلة بموسيقاها وإيقاعاتها وأوزانها البسيطة التي تعمل على إدخال البهجة في النفوس البريئة.

ومن هذا المنطلق دأب المختصّون وواضعو المناهج التربوية إلى تحديد فوائد أغنية الطفل، عن طريق وضع برامج وأهداف وشروط خاصة للأنشودة وتأليفها، وما تتضمنه من مضامين قيمية يحبّد غرسها في نفوس الأطفال البريئة والتي بواسطتها يستطيع المربّون نشرها عن طريق أدب الأطفال والثقافة والذوق والتربية السليمة وللأناشيد بصفة عامّة دور هامّ في حياة الأطفال، خاصّة على مستوى المؤسسات الإجتماعية لما تتطلب من معايير تأصيل القيم المرغوب فيها بأحسن الوسائل الممكنة.

فمن متطلّبات العصر الرّاهن وتقلّبات العولمة تقتضي الضرورة في التّعامل مع أطفال اليوم بحوكمة الرّشاد وأن تكون الرسالة الإعلامية الموجّهة للنشء الصاعد موسومة بالرشد والعقلنة ودافعا من دوافع تعزيز القيم في ذواتهم البريئة وفق بيداغوجيات الخصائص النّمائية لأنماط مرحلة الطفولة الحسيّة والمعرفية والمعنوية والحركية وهذا الحال يتوافق بالإستخدام السليم والنّزيه للرسالة الإرشادية المراد بثّ قيمها في النفوس البريئة وتقنيات الحوارات الهادفة المترامية في الأصوات ووفق ابجديات اللّغة التّعبيرية السلسة وبثقافة الاتصال الجّاد.

أما فيما يخص لغة الأناشيد الخاصة بالأطفال فإنّها لا تشكّل فرقا، فالأغنية أو الأنشودة من فنون الأدبة ذات الرسائل التعبيرية عن حاجات الإنسان وآماله وواقعه في أي وسط اجتماعي، كما تعدّ تجسيدا للتراث المشترك للمجتمع ولسان حال يعبر عن يوميات وأحداث والإرث المجتمعي (العرقوبي، 2021).

إنّ صناعة الشّعر والإنشاد بالفصحى أو العاميّة سيان ووجهان لعملة واحدة على أن تكون لغتهما سهلة وبسيطة، فالشعر الغنائي للأطفال هو الذي تكون ألفاظه سهلة ومفهومة وكلماته تحتوي على "الجرس الموسيقي"، ومعانيه واضحة ولا تحتاج إلى جهد وعناء في فهمها، خاصة إذا قدّمت كطبق فاكهة للأطفال تستهوي شعورهم وأحاسيسهم بحسب أعمارهم.

ومما سبق أعلاه، وانطلاقا الى تكريس الأهداف العملية والتحليلية للبحث، فقد شمل موضوعنا جملة من الغايات العلمية ومفادها كما يلي:

- ابراز أهمّ القيم الإنسانية في فضاءات الأطفال الجزائرية التي تتضام مع القيم النبيلة العالمية؛
- قد تفيد هذه الدراسة ذوي الاحتكاك المباشر بالمخيمات الصيفية محلياً، قطريا وعالميا من المنشّطين والمؤطّرين والمربّين وواضعي المناهج التربوية؛
- التعرّف على واقع الرسالة الإعلامية القيمية لمضامين المدوّنة التحليلية؛
- قد تساعدنا الدراسة التحليلية في وضع معايير للقيم الروحية والخلقية التي يجب أن تتضمنها أناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية؛

■ إمكانية استفادة المؤسسات الإجتماعية مثل النوادي، الجمعيات الثقافية والسياحية إلى التعرّف على الخدمات القيمة التي يقدّمها المخيم الصيفي الخاص بالطفولة الجزائرية. ومما سبق، فقد استندت تحليلاتنا حول السياق العام المتمثل في: التنوع اللّهي القيبي في فضاءات الأطفال الجزائرية. والتي تمخّضت عنه فرضية محورية تتعلّق أساسا بحثثيات الموضوع المعالج والتي أدرجناها في المتن تصوّري التالي:

■ احتمال وجود رسائل قيمة متضمّنة للخطاب التربوي الترفيهي في مضامين نشاط المقطوعات الصوتية في المخيمات الصيفية الجزائرية.

واعتمادا على الفرضية أعلاه، قمنا بإجراء على خطوات منهجية وعملية استقينها من الظاهرة الاتصالية والإعلامية للرسالة القيمة الموجّهة للأطفال من خلال فضاءات الطفولة وهي كما يلي:

■ التقنيات المتّبعة في الدراسة:

اعتمدنا في دراستنا الوصفية لمجال الخطاب الإرشادي في المخيمات الصيفية على عدّة وسائل بحثية نذكرها تباعا كما يلي:

◆ المنهج المتّبع: تمّ الاعتماد على المسار الوصفي التحليلي من خلال استكشافنا لفضاء أطفال التخييم ميدانيا.

◆ التقنية الأولى: وهي طريقة الملاحظة بالمعايشة وتتّبع نمط أسلوب الملاحظ حسب نمط "وليام لوبوف"

◆ التقنية الثانية: تمثّلت في تحليل متون المقطوعات الإنشادية وتفيّتها وجدولتها.

◆ التقنية الثانية: وضع أبرز الشروحات والتحليلات المستنتجة من خلال الأرقام والمعاني والدلالات معجميا وصوتيا.

وعلى إثر ذلك، فقد جاءت بنائية بحثنا وفق ثلاثة عناصر أساسية أدرجناها تباعا كما يلي:

2. الإطار المفاهيمي للدراسة:

1.2 الأطفال المصطافون : يعرّف "علي عبد القادر القورالة" عن الأطفال المصطافين في المخيمات أو الفضاءات الكشفية والإرشادية والتطوعية التي تقام في النوادي الصيفية الخاصة " (القورالة، 2010) حيث يحقّقون من خلاله أقصى مضامين التنمية القيمة وابرار قدراتهم البدنية، العقلية، الاجتماعية والروحية، ممّا يجعلهم مستقبلا أفرادا فاعلين ضمن مجتمعاتهم المحليّة والقومية والعالمية.

2.2 المخيمات الصيفية: أفرد المعجم الإنكليزي أكسفورد ترجمة كلمة المخيم الصيفي بذلك المكان المخصّص لعمليّات التّخييم "campsite" وعندما يلتحق به الأفراد يسمّون "campers" أي المخيمون الذين تتمّ تلبية حاجياتهم ورغباتهم من خلال برامج وأنشطة تربويّة هادفة ومتنوّعة، أي أنّها بمثابة المجال الخالص لممارسة الرّياضة الجماعيّة للأطفال ويقوم على تأطيرهم أخصائيّون مكوّنون علميا وعمليا

بأساليب تربوية وبدنية ونفسية وعقلية خالصة وتقام غالبا خلال الإجازة الصيفية للأطفال (Oxford, 2006).

3.2 الأناشيد: النشيد كما هو متعارف عليه رفع الصوت والتحسّن به مع النغم الجميل واستحسانه، وقد اتفق جميع باحثي الأدب والفنّ والتربية في صناعة الأناشيد: على أنّها تلحين للأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات إلى نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعه، فيكون نغمة تحدث تناسب عند سماعها ويستحسنها المسموع (الترمذي، 2007)، إذ تنبع أهمية الأناشيد من كونها قطعاً أدبية جميلة يحبّها الأطفال ويتحمّسون لألحانها وينشدونها في أوقات فراغهم ولهوهم ونشاطهم. ولتحقق في ذلك باعث الرسالة الإعلامية من مقاربة الأناشيد التعليمية أهدافاً تربوية جمّة منها الخلقية واللغوية والاجتماعية والنفسية ولعلّ من أبرزها ما يلي من النقاط:

- ✚ معالجة سمة الخجل في الأطفال كما وتتيح لهم الأناشيد فرصة التفاعل الاجتماعي والنّفسي؛
- ✚ تحسين النطق، مخارج الحروف والصوتيات بوضوح أثناء عملية الإنشاد؛
- ✚ كما وتعتبر من بواعث السرور للأطفال وأثرها يتّضح في تجديد النّشاطات وتبديد سأمهم؛
- ✚ تزيد من إثارة الأطفال وبعث فيهم الحميّة، الحماسة، الشجاعة، الارتجال والإقدام؛
- ✚ إكساب الأطفال الصفات النبيلة، المثل العليا، المعارف والمفاهيم بصورة محبّة وشيقة.

4.2. الرسالة القيمية:

ارتقى مفهوم الرسالة الإعلامية عموماً بين المتواصلين، والذي يعني طرفاه المتكلّم والمتلقّي، وما بينهما من رسالة لغوية وصوتية ودلالية، ويعبّر المعنى القيمي عموماً على نظم التبليغ الهادف للمعاني والآراء والمواقف النبيلة، وهو الوعاء المعبّر عن الروح والعقائد والشرائع والأخلاق والمثل العليا، وإلى هذا المعنى تنصرف الأذهان عند الحديث عن الرسالة الإرشادية القيمية الموجهة للأطفال باعتبارهم الحلقة الأهمّ في المجتمعات الإنسانية وبالتالي يتّبع فيه الأسلوب المرن وبحسب قواعد ثقافة المجتمع ناهيك عن المعايير والأعراف التي تحكم طبيعتهم الطّفولية البريئة ووفق الخصائص النّمائية المتوافقة مع مراحل الطفولة، ومن ثمة يصبح معنى الخطاب القيمي بمفاهيمه التربوية والخلقية بمثابة الرسالة الهادفة المعلن عنها والتي يجب أن تبتعد عن القيم الدخيلة والهجينة للمجتمع وهذا تمشياً مع حتمية "عبد الرحمان عزّي" القيمية (عزّي، 2009).

3. الإطار النظري للدراسة: تعمل المنظومة القيمية لأفراد المجتمع على إثراء وإكساب القيم للأفراد جلّ مؤسسات التنشئة الاجتماعية ووسائل الإعلام بكافة أنواعها، إذ يعدّ غرس القيم في نفوس الأفراد عملاً شريفاً وهدفاً أسمى، فقد أعطى الوظيفي "تالكوت بارسونز" القيم على أساس نسق رمزي مشترك ويعتبرها معياراً أو مستوى للاختيار بين البدائل التي توجّه الأفراد وتوجد في مواقفهم على أساس معايير تحكم إذا كان الشيء مرغوباً فيه أو غير مرغوب فيه (مريم أحمد، 2006).

وتأسيسا على ما سلف، تسعى القيم عموما إلى دفع قاطرة تربية النشء للمضي قدما، ولتوضع على اثرها الإستراتيجيات والخطط من خلال العمليات التربوية الموجهة نحو بناء وتأطير أجيال الغد بكل أمانة وصدق ولتحقق الأهداف الموجودة والموجهة، وكلّ ذلك يأتي عن طريق الخطاب السامح والمتعايش بين الأنا والآخر.

ونظرا لتعدد الديانات والثقافات عبر العالم في عصرنا الراهن، فإنّ الحاجة إلى أفكار الخير والسلام والأمانة والصدق والتعاون وتقبل الآخر جدّ ضرورية وواقع لا بدّ منه، لذلك فعمليات اكساب القيم الروحية والخلقية واردة جدّا عند متلقّيها لما تقتزن بالمدخلات والمخرجات القيمة التي تنظّم علاقة الفرد بخالقه أولا كما وتنظّم من جهة أخرى علاقة الأفراد والجماعات بالآخرين في المجتمعات الإنسانية، حيث يستمدّون منها مرجعياتهم وتصرفاتهم وأهدافهم، وبالتالي فالقيم عموما هي نتاج علاقات الأفراد في المجتمع، خاصة عند الأطفال الذين يستمدّون مبادئهم من مكارم الأخلاق والفضائل والمثل العليا والقيم الحسنة، والتي ترتقي بهم إلى عالم التعايش الإنساني الراض لكل أشكال التطرّف والتعصّب وعدم تقبل الآخرين، خاصة عند أصحاب الثقافات المختلفة.

كما ويعدّ الخطاب القيمي عموما من أهمّ النظم الاعلامية والاجتماعية وذلك لما تؤدّيه من وظائف تفاعلية جمّة، فأساليب الوعظ والإرشاد من أقوى العواطف تأثيرا في مشاعر الأفراد ضمن مجتمعاتهم ونظرا لأهميتهم في البناء الاجتماعي العام، اهتمّ علماء الاجتماع بدراسة النظم القيمية والاجتماعية في المجتمعات، ومنها ما يراها أساس جوهر الكينونة الإنسانية حيث تحدّد على إثرها محدّدات أنماط وسلوكيات المجتمع بين السلوكيات المقبولة والسلوكيات المذمومة التي يلتزم بها الأفراد والجماعات (الجلاد، 2005).

كما وقد أسقطت الباحثة "أشواق عبد الحسن الساعدي" في دراستها البحثية حول سبل ووظائف التنمية البشرية وثقافة المجتمع واهتمّت بأساسيات الرسائل الاعلامية والإرشادية الموجهة للمتلقّين وقد تلاقت نظريا مع العديد من الباحثين في هذا الباع، حيث استقينا منها جملة من المعايير التي أسقطناها على بعض مضامين متون أناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية الجزائرية والتي يجب أن تركز عليها أخلاقيات عمل الإرشاد القيمي وهي كما يلي:

■ تعدّ الرسالة القيمية من أقوى وسائط الضبط الاجتماعي واستخلاص القواعد القيمية والروحية والأخلاقية؛

■ أنّها تقوّي العلاقات الإنسانية وتضفي قيم التسامح والتضامن وتدعم السلوكيات السويّة والتماسك والوحدة الاجتماعية عن طريق الخطاب المتّزن (أشواق، دس).

ومثل ذلك نجد صوت الأطفال في المخيمات الصيفية الداعي للقيم الإنسانية ومنها:

في كلّ عالمٍ عندي حبيبة هي الطُفولة هي الطُفولة.

يَا أَهْلًا وَسَهْلًا فِي كُلِّ مَكَانٍ يَا أَهْلًا وَسَهْلًا فِي كُلِّ زَمَانٍ.
يَحْيَا الْعَالَمَ دَوْمًا وَالْحُرِّيَّةَ.... يَحْيَا السَّلَامَ دَوْمًا وَالْإِنْسَانِيَّةَ.

كما وتسعى الرسالة الإعلامية الارشادية الموجّهة للأطفال إلى أخلفة تعاملاتهم وتقويم سلوكياتهم غير المرغوب فيها وتعليمهم كلّ ما هو نافع لهم في الحياة والعمل على غرس القيم الخيرة وفق الشريعة السمحاء مع تجنّب الضوضاء في الأناشيد الملحّنة بطرق الصّخب ذي التأثيرات السلبية على فسيولوجية الأطفال عموماً. ولأنّ الأطفال كما قال "محمد الغزالي": "أصحاب صفحات بيضاء وكل ما ينقش عليها يترك الأثر فيهم مستقبلاً" (الخالدي، 2008).

لذلك يجب التنويه بفائدة اجتناب الأشعار والترانيم التي تحاكي الرذائل وتعلن "للخمول"، "التهوّر" "الوضاعة" "الخشونة"، "الخلاعة" و"مفاسد الأخلاق"، كما ويجب التصدي لوجود مضامين "التطرّف"، "السخرية" "الجهوية" "العقائد غير السليمة" والمواضيع التي تؤسّس للأيديولوجيات في المجتمعات الانسانية، ويأتي هذا كلّ بهدف حماية الأطفال والمراهقين وحتى شريحة الشباب المتحمّس من الوقوع في شباك التطرّف والشذوذ الاجتماعي ونبذ الآخرين مستقبلاً في تفاعلاتهم اليومية والاجتماعية.

ناهيك عن عدم إقصاء المواضيع المتعلقة بقضايا تدمير الإنسانية وخراب الطبيعة ونشر الحروب في العالم فقد وجدنا في فضاء المخيمات الصيفية الجزائرية على لسان أطفال الجزائر مضامين تنبذ الصراعات والحروب وحالات التهميش والتمييز بين الانسانية جمعاء في قولهم:

يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ نَحْنُ نُنَادِي.... يَا عَالَمُ كَفَانَا مَا نَعَانِي.
مَا ذُنُبُنَا يَا عَالَمُ وَنَحْنُ الصِّغَارُ.... مَا ذُنُبُنَا يَا عَالَمُ مَا يَفْعَلُ الْكِبَارُ
دَمَرْتُمْ قُرَانَا وَأَحْرَقْتُمْ الْبُلْدَانَ.... شَرَدْتُمْ الصِّبْيَانَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ يَا عَالَمُ.... نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ نَحْنُ هُنَا نُنَدِّدُ.

كما وقد عبّر كلّ من "دافيد" و"مور" بقولهما بضرورة قيم التسامح كمنطلق حقيقي للمجتمعات الإنسانية وتتحقّق وحدته من خلال القيم المطلقة والغايات الذاتية التي تؤثر في السلوك البشري المساعد على استقرار المجتمعات عموماً.

وفي هذا الصدد رصدنا مجموعة من الأغاني والأناشيد التي تدعو إلى القيم السالفة في قول الأطفال:

أَطْفَالُ صِغَارٍ أَطْفَالُ صِغَارٍ... نَبْتَغِي النَّجَاحَ وَنَرْجُو الْفَلَاحَ.
نَبْتَغِي السَّلَامَ بِكُلِّ وَنَامٍ، وَبَعْدَ ظِلَامِ اللَّيْلِ يَأْتِي شِعَاعُ النُّورِ.

وفي نفس السياق ترى الباحثة "مطشر منتهى" أنّ الخطابات السمحاء أساس الحياة الاجتماعية لما لها من نواهي وروادع وضوابط قيمية، خصوصاً إذا ما وجد الفهم العميق والإيمان القوي الذي يساعد على حفظ المجتمعات الانسانية والارتقاء بها (مطشر، 2008)، وبالتالي يتجاوز الخطاب القيمي مراحل النبذ والاقصاء واحتقار الآخر، وهذا ما تجلّى ضمناً في المتن الانشادي التالي:

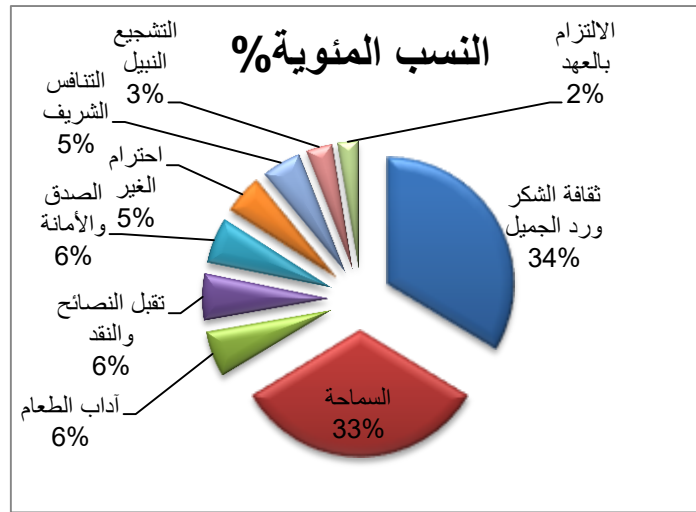
بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ فِي قَلْبِي عَزِيزَةٌ وَالْدُّنْيَا تَبْقَى بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.
 الْعَالَمُ يَنْتَسِمُ أَنَا فَرَحَانُ وَنَعْمَلُ بِسْمَةِ، بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.
 يَا رَبُّ الْعَالِي احْفَظْ بِلَاذِي احْفَظْ بِلَاذِي وَكُلُّ الْعَالَمِ.
 وَالْدُّنْيَا تَبْقَى بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ، بِسْمَةِ جَمِيلَةٍ.

ومنه نستنتج الضرورة الملحة لوجود القيم في أيّ مجتمع وأنّ حقيقة أيّ مجتمع إنساني عبر العالم تتحقّق وحدته على أساس اختيار أعضائه القيم النبيلة المطلقة والقيم الوسائلية الغائية. وبناء على هذا الطرح، نستنتج أنّ الإنسان لا يستطيع تجسيد أعماله وسلوكياته وتصرفاته لوحده والحقيقة المطلقة تتمثل في أنّ كل الأديان السماوية لها أهمية كبيرة في حياة الأفراد، فالإنسان بفطرته يبحث دائما عن الحقيقة المطلقة التي تعرّفه بنفسه ومحيطه الذي يعيش فيه على أساس عقيدة سليمة تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى.

وعليه، فإنّ ذاتية الأفراد بحسب هذا الإتجاه تجعلهم يجتهدون ويبحثون عن الفضيلة والخير والرشاد وموضوعية قيمهم تظهر في العقائد السمحاء المتمسّك بها، وهذا ما يؤدّي إلى التوفيق بين الفهم الصحيح للقيم والمستمدّة من الخصوصية الثقافية للمجتمعات، وفي خضمّ هذه الأطر تتحقّق التّوازنات الانسانية في إطار التسامح والتعايش وثقافة الحوار واحترام الغير، ومنه تتوارى المميزات الهدّامة الداعية إلى حياة إنسانية اقصائية لثقافة الآخرين عبر أقطار العالم قاطبة.

4. الإطار التحليلي للدراسة: اعتمادا على مصادر تحليل المدونة الخاصة بأناشيد الأطفال في المخيمات الصيفية، تجلّى لنا بروز أهمّ القيم التي تحمل الطابع الإنساني العالمي، ومنه حصلنا على أبرز تصنيف للمفاهيم القيمة وقد تمثّلت فيما يلي:

صورة 01: تمثّل التنوع القيمي للمنظومة الإنشادية في فضاءات الأطفال.



الشكل 1: يمثل التمايز القيمي للرسالة القيمية في فضاءات الأطفال.

بدراسة الرسم البياني أعلاه المتعلق بمفاهيم القيم القيمية والذي يوضح التوزيعات التكرارية والرتب والنسب المئوية لمفاهيم القيم في أناشيد المخيمات الصيفية المقدمة للأطفال؛ تبين من خلال التحليل وجود تمايز كبير بين المفاهيم القيمية الخلقية ونعزو ذلك التباين إلى علاقة التفاعل والاحتكاك بين الأطفال والمنشطين خصوصا، وبينهم وبين أعضاء المخيم الصيفي عموما؛ فمثلا قيمة "ثقافة الشكر ورد الجميل" من القيم البارزة التي تضمنتها أناشيد المخيمات الصيفية المقدمة للمصطفين، وهذا راجع إلى السياقات المتكررة التي تعبر عن الأهداف القيمية التالية:

■ تقدير للمجهودات التي يقدمها أعضاء المخيم، فمثلا نجد كثرة ترانيم الأطفال التي تعبر عن الشكر ورد الإعراف في قولهم:

مُنْشِطِي الْعَزِيزِ فِي فَمُو صَفَّارَةٍ يَغْنِي وَيُفْرَحُ بِأَحْلَامٍ سَعِيدَةٍ... أَنْ شَاءَ اللَّهُ يَا رَبِّي خَلِّمْهَا دِيمَا،

أي: تعبير صريح عن الأيام السعيدة وأجواء الفرح والبسمة التي يزرعها المنشطون في ذوات الأطفال، كما نجد أيضا اللسان التخيلي للأطفال يعبر عن البسمة والفرحة كقيمتين بارزتين ومن بين ذلك:

يَا مَرْكَزًا أَحْبَبْتُهُ... بِلَفْرَحَةٍ مُخَيِّي.

وَلَنْ تَطُولَ غَيْبَتِي... فِي مَوْعِدٍ مُحَدَّدِي.

وَسَأَبْقَى مُخَلِّدًا... لِذِكْرِي وَقَتِ إِقَامَتِي.

يَا أَصْدِقَاءَ رَدِّدُوا... مُنْشِطِي مُنْشِطِي.

■ إتاحة فرص التعبير وخلق روح المبادرة لتكريم أصحاب الفضل من رجالات التربية والتأطير والتكوين وأهل السابقة في كل المجالات؛

■ أحقية الأطفال في اكتشاف ذواتهم وسط محيط التخييم عن طريق قيمة الشكر وردّ الجميل وعدم النكران؛

■ ورود القيمة في حدّ ذاته مظهر من مظاهر الرقيّ الإنساني الذي يعبر عن قيم مبادئ الاعتراف، ردّ الجميل الاحترام والتقدير في كلّ مكان وزمان، كما ويتجلّى ذلك في:

أَجِيَالٌ أُوُورَا أَجِيَالٌ... أَنْعِيشْ عَلَى حِلْمِنَا.
وَلِي أَنْعِيشُوهُ الْيَوْمَ مَحْسُوبٌ عَلَى عُمْرِنَا.
هُوَ حِلْمُنَا... طُوبُلُ عُمْرِنَا... حِصْنٌ إِيضُمُنَا كُلَّنَا. كُلَّنَا.
وَمَهْمَا تَرُوحْ وَتُعُودْ مُخَيِّي... حَبِّكَ إِيْزِيدْ فِي قُلُوبِنَا.

■ ومنه يجب غرس هذه القيمة بالذات الضرورية في حياة الفرد والمجتمع خاصة في وقتنا الراهن وتغيّر مظاهر الحياة وحجب ثقافة ردّ الجميل كقيمة خلقية، أمّا ورود مفهوم "قيمة السماحة" كقيمة تحمل في طياتها عدّة معان انسانية سامية تنمّ عن بوارد الفرد السماح والطلق في تعاملاته الإجتماعية أينما حلّ أو ارتحل، ومن أهمّ ما جاء في مضامين هذه القيمة في المقطوعات المترنمة ما يلي:

رُوعَةٌ لِلشَّعْرِ مِنَّا، مِنَّا رَدَّدُوها مُنْشِدِينَا... إِنَّنَا لِلِسَلَمِ قُمْنَا كَي نَكُونِ آمِنِينَ.
أطفال أَذَرَ أَيْرَهِيَا هِيَا رَدَّدُوها قائلين... إِنَّنَا لِلْأَمْنِ سَرْنَا كَي نَكُونِ النَّاجِحِينَ.
أَهْلًا وَسَهْلًا، أَهْلًا وَسَهْلًا، أَهْلًا وَسَهْلًا يَا كِرَامًا

■ وجود علاقات " الطيبة"، " المحبة"، "التآخي" ومردّ ذلك واقع التخييم واحتكاك الأطفال مع بعضهم البعض ومع المنشطّين وجلّ أعضاء المخيم الصيفي على مدار 24 ساعة في فترة زمنية تناهز 15 يوما وهي مدة كفيلة لتحقيق الأثر الفعّال.

■ دعم روابط المحبة والتآخي وسيرورة العلاقات الحسيّة التي تثير ردود الأفعال الإيجابية مستقبلا، ومن ذلك وجد:

لَا قَارِي مِي دُورِي دُولَا... لَا قَارِي مِي دُورِي مِي دُورِي.
لَا صُولُ قَامِي فَا صُولُ مِي دُورِي... دُورِي دُورِي دُورِي.
مَرْحَبًا بِكُم فِي مُلتَقَانَا نَزْرَعُوبْدَرَةَ أَسْسَلَامْ.... مَرْحَبًا بِكُم فِي مُلتَقَانَا مُلتَقَى الْأَطْفَالِ.
مَرْحَبًا بِضُيُوفِنَا شَرَفْتُمُونَا كِرَامْ.. أَهْلًا وَسَهْلًا فِي مَحْفَلِنَا لَكُم مِنَّا لِخِتِرَامْ.

■ تمهيد سبل إقامة جسور الانسجام والتفاهم والتناغم وتقبّل الآخرين في جوّ المخيمات والمعسكرات والنوادي والسفرات وفرق الجوّالة والكشافة محليّا وعالميا.

أمّا فيما يخص قيم "آداب الطعام وفنّ التعامل": نجد مثلا قيم الاستئذان واحترام مهنية الطباخ أو النادل أو المقتصد أو عامل النظافة، ومن المتون التي حملت مضامين الاحترام وجدنا مثلا في الحوار الصوتي التفاعلي بين الأطفال والمنشطين في قولهم على لسان عمّال المطبخ:

الأطفال: طَبَّاخُنَا طَبَّاخُنَا طَبَّاخُ جَمِيلٌلِل.

وَاعْطِينَا وَاعْطِينَا مَقْرُوطَةً فِي الطَّجِينِينَ... أَيَّ اعْطِينَا حَلَوَى "المَقْرُوط" الشعبية.

الطَّبَّاخُ: مَا نَعْطِيكَوْمَشَش.

الأطفال: وَاعْلاشَشَشَش، أَي لِمَاذَا لَا تَعْطِينَا؟

الطَّبَّاخُ: لِأَنَّكُمْ مَا تَعْرِفُونُش أَتَغْنُونُ، أَي أَنْتُمْ لَا تَحْسَنُونَ الغناء.

وهكذا يعيد الأطفال في طلب الأكلة تحت هدف الاستئذان واحترام آداب الطعام و"الالتزام بالنظام

العام": وتجلّى ذلك أيضا في المقطوعة التالية:

هَيُّوْ يَا أَطْفَالُ اسْمَعُوا لِلنِّدَاءِ... صَوْتُكُمْ يُنَادِيكُمْ أَجْرِي أَجْرِي خَلِيكُمْ

سَرِيْعًا... سَرِيْعًا... سَرِيْعًا لِلنِّدَاءِ.

وتوجد أيضا قيم "الصدق والأمانة كقول الأطفال باللغة العامية على لسان الحيوان:

دُومْبَا دُومْبَا أَنَا وَلِيدُ اللَّبَا...، أَي أَنَا الشَّيْلُ ابْنُ اللَّبْوَةِ أَنْتِ الْأَسَدُ.

دُومْبَا يَا دُومْبَا عَايشُ فِي الْغَابَةِ.

مَا نَكْذِبْشِي وَمَا نَسْرِقْشِي دُومْبَا يَا دُومْبَا.

مَا نَكْسَرْشِي الْقَارُورَاتِ دُومْبَا يَا دُومْبَا.

و"ثقافة التشجيع النبيل" مثلا 36,3% كنسبة بالرغم من قلّة ورودها في ميدان القيم الخلقية في

أناشيد الأطفال فهي تمهّد للروح التفاعلية بين الأطفال والنشاطات الممارسة داخل المخيم حيث يتشارك

الأطفال الألعاب والأغاني والتنافس بكل سلاسة وأمن واحترام الآخر، ومن الأغاني والتراتيم التي وجدناها

في متون المدونة والتي أثرت قيم المنافسة الشريفة والتشجيع النبيل واحترام مبادئ اللعب النظيف ومن

بين ذلك:

أَلُو أَلُو أَلُو أَلُو أَلُو مَا دَامَ الْحَمَّاسُ رَانَا فِي لَبَاسُ.

الدَّخْلَةَ بِالْإِشَارَةِ وَلَخْرَجَةَ بِالْإِشَارَةِ... أَلُو مَا دَامَ الْحَمَّاسُ رَانَا فِي لَبَاسُ.

نَلْعَبُ بِالتَّعَاوُنِ وَلَفُرَجَةَ بِالتَّفَاوُلِ أَلُو مَا دَامَ الْحَمَّاسُ رَانَا فِي لَبَاسُ.

أمّا مفهوم "الوفاء بالعهد" فحظيت النسبة الأقل 2,52% بالرغم من أهميتها في حالات الالتزام

والتعامل الضروريين بين الأفراد والجماعات، إذن هي قيمة يحسن غرسها في نفوس الأطفال فقد وجدنا

مثلا:

الشَّطُّ وَلْبَحْرُوْلُمُوجَةٌ تَتَلَاوَحُ، وَأَنَا غَيْرُوَحْدِي فِي الشَّطِّ أُنْدُووُورُ

خَسَارَةٌ خَسَارَةٌ مَا حَضَرُوشُ أَصْحَابِي خَسَارَةٌ خَسَارَةٌ مَا حَضَرُوشُ أَحْبَابِي

العشرة كيف سهلة وفراق أصغيب وأش إصبر قلب لحبيب؟!

وهذه القيمة تعدّ بمثابة سبيل ومنهاج وأنّ ماهيتها هي إثراء للعلاقات الاجتماعية في المجتمعات عموما والمجتمع الجزائري على وجه الحصر وهذا ما يؤدي إلى حتمية تعزيز روابط المواطنة والتفاعل الاجتماعي وفق الرموز المصطلح عليها اجتماعيا وثقافيا.

5. خاتمة: بعد التركيز على هذه القواعد يستلزم ذلك القيام بورشة عمل كبرى لتحديد الأساليب والوسائل التي تحقق خطتنا في دراسة احتياجات الأطفال ومعالجة مشكلاتهم، بل كيف نربهم تربية سوية، وهذا المشروع الضخم الذي ربما لا تستطيع مؤسسة بعينها القيام به، فإنه يحتاج إلى إمكانات وموارد بشرية ومالية وعلمية هائلة، وهذا ما يعني تضافر الجهود من قبل مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدني، وفي عصر الانفتاح على العولمة تضافر مؤسسات دولية وإقليمية ودول وحكومات، وبما أن هذا الأمر غير متحقق نتيجة لتضارب المصالح والسياسات، وعلى الأرجح الوقوع في لظى الصراعات بين منظومات القيم السياسية والتربوية المختلفة فلا شك أن هذا يفرض علينا القيام بعملية تحصين للناشئة في مجتمعاتنا، تنطلق من صميم قيمنا ومنظومتنا الفكرية والثقافية والعقائدية، وعليه فقد أفرزت دراستنا جملة من التوصيات والمقترحات لعلّ من أبرزها مايلي:

■ ضرورة توحيد البرامج البيداغوجية للنشاطات الترفيهية والثقافية المخصصة لأطفال الجزائر ككل على مستوى كل مراكز العطل والترفيه وإعادة النظر في صياغة المناهج والأساليب المعتمدة في طرائق التأطير؛

■ العمل على إيجاد سياقات موحدة للأنشطة تحمل طوابع التكامل والتناسق في جميع مضامينه؛

■ إعطاء نشاط الأنشطة المكانة التي تليق بأدوارها التربوية في المخيمات الصيفية؛

■ تعزيز المواضيع الإنشادية التي تحمل في مضامينها مفاهيم قيمة يحبّد غرسها في نفوس المتعلّمين وتثمين المضامين الإنشادية التي تدعو إلى المحبة والتآخي والسماحة واحترام الآخرين والتعايش مع ثقافة الآخر؛

■ مراقبة أنواع النشاطات المقدّمة للأطفال، والعمل على تأطيرها والتشدد مع الأعمال الدخيلة التي تمس الخصوصية الثقافية للمجتمع والعمل على استئصال المقطوعات الإنشادية التي تؤسّس للردائل والعنف والتطرف، وهذا بإعادة النظر في مضامينها، وإعطاء بدائل وحلول لها، وتعزيز عملية غرس القيم في نفوس الأطفال؛

■ بعث عملية الخلق والإبداع في إنتاج المواضيع الجديدة التي تواكب الجيل الحالي وملاءمتها لعصر التكنولوجيا والعمل على إقامة مواقع الكترونية ترفيهية وثقافية متحكّم فيها وترتكز على دراسات رصينة تلبي احتياجات الأطفال مثل: "الأندية للمعلوماتية، الإذاعة المدرسية، فضاءات المسرح، إعادة الاعتبار لكتاب الأطفال بأساليب التمثيل والحكي المفتوح؛

- إدخال الأساليب العلمية في النشاطات الثقافية التي تساعد عملية تنمية القيم في الأطفال؛
- إيلاء المعالم الطبيعة دورًا رياديًا وذلك يتطلب خططًا لمعايشة الإنسان الطبيعة والانفتاح عليها برفق (الرحلات، المخيمات، القيام بحملات تشجير...).
- إشراك أكبر عدد ممكن من أطفال الجزائر في فضاءات الأطفال والعمل على أحداث التشارك في النشاطات الترفيهية والتربوية مع دول الجوار أو دول البحر الأبيض المتوسط أو على مستوى العالم عموماً.

6. قائمة المراجع:

1. أشواق عبد الحسن الساعدي، الثقافة والتنمية البشرية، العرف للمطبوعات، لبنان، ص146.
2. علي عبد القادر القورالة، مواجهة ظاهرة العنف في المدارس والجامعات، ط 01، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، صص 215.216.
3. ماجد زكي الجلاّد، تعلّم القيم وتعليمها، دار المسيرة للنشر، عمان، الأردن، 2005، ص39.
4. مريم أحمد مصطفى، التغيير ودراسة المستقبل، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 2006 ص347.
5. مريم الخالدي، مدخل إلى رياض الأطفال، ط1، دار الصفاء، عمان، الأردن، 2008، ص19.
6. منتهى مطشر عبد الصاحب، أنماط الشخصية على وفق نظرية الأنكرام والقيم والذكاء الاجتماعي، ط 1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص172.
7. عبد الرحمان عزّي، الإعلام وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية، دار المتوسطية، تونس 2009 صص 21.30.
8. العرقوبي أنيس، فن الأدبة أو الشعر الملحون.. إرث مغاربي تهدده التغيرات الاجتماعية، تمّ استرجاعه من موقع أدب وفن من على الرابط <https://www.noonpost.com>، المنشور يوم 01 فيفري 2021 وتصحّح يوم 09 أفريل 2021 على الساعة 21:49.
9. محمد أمين الترمذي، نصف قرن من الإنشاد، ط01، دار التقريب، الجزائر، 2007، ص293.
10. the oxford Dictionary, Academia, Beirut, Lebanon ,2006, p96.